أمثلة من الترجمة

Ute Wegmann

Hoover

dtv Verlagsgesellschaft 2015

ISBN: 978-3-4236-4015-2
صفحات 7-19

أوتِه ڤيجمَن

هوڤر

رواية

ترجمة هبة شلبي

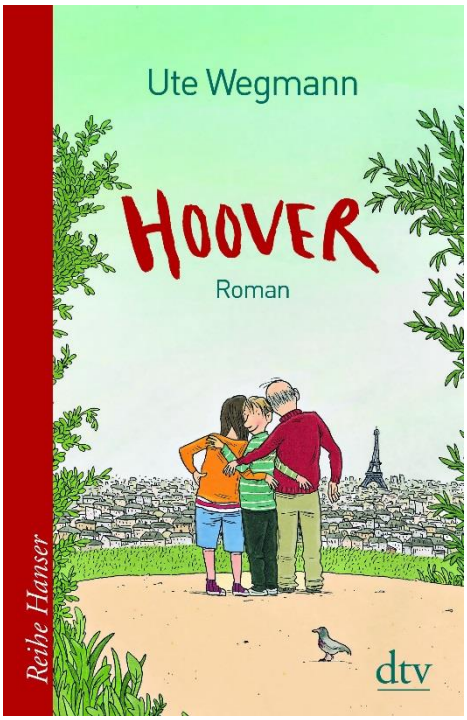

© 2016 Litrix.de

في البداية

كان هوڤر يعلم جيدًا أن هناك أيام تتدهور فيها الأحوال إلى الأسوأ. وفي أحد تلك الأيام واساه أبوه قائلًا: "الشخصيات البارزة والمشهورة غالبًا ما واجهت طفولة صعبة." شعر هوڤر بالارتياح، إلا أنه لم يقابل في حياته شخصًا مر بطفولة أسوأ من طفولته. ولكنّ عبارة أبيه بشَّرته بسعادة لاحقة. فقد يصبح موسيقارًا مشهورًا أو طبيبًا عظيمًا أو عالمًا في الأحياء البحرية. أيًا كان! فقد شعر هوڤر في هذا الخريف الغريب، والخالي من الأحداث، أن أوقاته العصيبة لن تنتهي قبل وقت طويل. ما زال أمامه بضع سنوات مدرسية وتجارب لم يعشها بعد: كنمو اللحية والحفلات الأولى، وبيرته الأولى في السر وأولى القبلات.
وحتى ذلك الحين سيبقى هوڤر:
الأخَ الأصغر لتوأمين أكبر سنًا،
أصغرَ أفراد الأسرة، والفصل أيضًا،
الصبي ذا النمش في وجهه،
الذي فقد جدتين وحيوان هامستر،
والذي لا يملك كلبًا،
وصاحب أكثر عطلات الخريف ملَلًا.
إنها لقائمة كبيرة، مليئة بالأمور الفظيعة.
لِمَ لايستطيع أن يكون هو الأخ الأكبر، أو صبيًا مفتول العضلات يمتلك كلبًا، ويعزف الجيتار بمهارة؟ صبرًا. فالحال يتبدَّل كل يوم.
كان هوڤر في الثانية عشرة من عمره.
وما زال كل شيء ممكنًا.

© 2016 Litrix.de

برطمان مربى

تنزه هوڤر على الرصيف مارًا بحدائق المنازل الأمامية والسيارات المركونة. سار بحذائه الرياضي فوق أوراق الأشجار محدثًا صوت خشخشة. وفي ضوء الشمس زهت الأوراق الأخيرة المتبقية على أغصان الأشجار بدرجات من الأصفر والأحمر والأخضر الباهت.
وضع هوڤر يده في عمق جيبه وشخشخ بالنقود المعدنية. أحب فصل الخريف كثيرًا؛ رائحته وألوانه وضياءه وأيامه الأخيرة الدافئة. وكان يدندن ووجهه مشرقً. توقَّف في طريقه ليراقب سنجابين وساعد رجلًا مسنًا يتكئ على مشاية بعجلات في عبور الشارع. وبدت في عينيه بهجة ملأت كيانه.
عبر الشارع الرئيسي ثم وقف أمام باب السوبرماركت، فانزلقت أبوابه الزجاجية إلى اليمين وإلى اليسار محدثة أزيزًا طفيفًا. ها هي جنته أمام عينيه. انعطف حول الزاوية ليصل إلى ممر المربيات وعلب الحبوب مع الفواكه المجففة والقراقيش. عادة ما يسلك هذا الممر كطريق مختصر إلى الثلاجات، ليفاجأ بها واقفة أمامه، عرفها من بنطالها المقصوص وحذاء الرياضة والسماعات. وفي هذا اليوم ارتدت أيضًا قميصًا رجاليًا فضفاضًا فوق ملابسها، كاد يصل إلى ركبتيها. قامت بحركة بسيطة وسريعة ثم نظرت إليه. أدرك هوڤر أنها تتمنى لو لم يكن رأى شيئًا. إلا أنه قد رأى ما حدث.
شاهد هوڤر بالتفصيل كيف أخفت برطمان المربى وراء ظهرها. وقد انسدل القميص
من كتفيها ليغلف جسمها كله. من المؤكد أنها وضعت البرطمان في حزام البنطال. ولكن ما من شيء يبدو بارزًا من الخلف، ولا حتى مؤخرتها. هل من المعقول أن يكون قد فكر في ذلك للتو؟
حاول جاهدًا أن يبدو عليه عدم الاهتمام. وتجاوزها قائلًا باسترخاء: "مرحبا". فماذا كان يفترض به أن يقول عدا ذلك؟ أيقول: "مهلًا أيتها الفتاة، لقد سرقتِ شيئًا للتو!"؟ ألا تعرف هي ذلك فعلًا. أم يقول: "لا تقلقي، لن أفضح أمرك." لا، ما كان ليفعل ذلك! ولكنه تذكَّر مقولة جدته: "من يجرؤ على سرقة التفاح، يسرق أيضًا الآي فون!" أيمكننا مقارنة التفاح بالمربى، والمربى بالهواتف المحمولة؟
اصطبغت وجنتاها بلون وردي خفيف، وغمزت له ثم قالت: "مرحبًا"؛ بدا صوتها عميقًا وجميلًا حتى كاد هوڤر يتسمَّر في مكانه، بل تمنَّى في أعماقه لو ظل واقفًا لعلها تمنّ عليه بكلمات أخرى.
وما أن وصل إلى أرفف الثلاجة حتى غرق ذهنه في فوضى عارمة. كان من المفترض أن يشتري حليبًا وبودينج بالفانيليا والقشدة. وأراد أيضًا أن يلتقط لنفسه كيسًا من رقائق البطاطس، وهذا ما كان يتطلع إليه طوال الطريق. وبينما همَّ مسرعًا إلى الخزينة حاملًا معه الحليب، كاد ينسى بودينج الفانيليا ورقائق البطاطس.
رأى هوڤر كيف ارتفع قميصها من تيار الهواء عند الباب الزجاجي وراقبها وهي تسير عبر موقف السيارات فتتبعها من مسافة بعيدة. قطعت شارع الأزهار ثم طريق التوت وجادة الكستناء وسارت عبر المتنزه متجهة غربًا، وقد أبهره نور الشمس الغاربة.
فكر لوهلة في أمه التي كانت تنتظر الحليب. ثم لاحظ أن الفتاة تعبر نفق القطار. وكان هناك درب مرصوف صاعد قريب من السكك الحديدية. لم يكن هوڤر يعرف تلك المنطقة، فقد كانت محظورة لكونها منطقة قطارات.

كانت هناك أشجار توت وشجيرات أخرى صغيرة تحف الدرب من الجانبين، بينما تكاثرت الأعشاب الضارة بين حجارة الدرب. كانت رياح الخريف قد أضعفت الشجيرات والأسيجة النباتية، إلا أنه احتمى بها. نظر إلى ساعته وإلى الحليب والبودينج ورقائق البطاطس، ليُفاجأ بأن الفتاة قد اختفت من أمامه.
أكمل هوڤر طريقه متسللًا بجوار الأسيجة النباتية حتى وصل إلى قمة الدرب. وما لبث أن تسمر في مكانه مذهولًا: فمن وراء أشجار البقس رأى أمامه بيتًا صغيرًا محاطًا ببستان. بدا البيت متهالكًا بعض الشيء، فغطاء أحد أركان السطح كانت ملتوية للأعلى، والطلاء متقشِّر. أما شبابيك المنزل الصغيرة فهي مصنفرة وتشوبها الخدوش، وتظهر الستائرالكارّو من ورائها بمظهر باهت. إلا أنه بات واضحًا أن هناك من يعتني بأحواض الزهور والأعشاب ويرويها، بينما بدت بقية البيوت الخمسة التابعة لحي البساتين مهجورة.
اختبأ هوڤر خلف جذع شجرة دلب مراقبًا العريشة. رأى غصنًا متدليًا من فوق باب البيت، ودكة مصنوعة من لوحين خشبيين أمام النافذة. وفجأة سمع أصواتًا من وراء النافذة؛ ضحكة وكحة. انحنى هوڤر لأسفل وسمع صرير الباب وهو يُفتَح لتخرج منه سيدة نحيلة تمشي منحنية، وشعرها رمادي مرفوع لأعلى، والفتاة تسير خلفها. كانت السيدة العجوز ترتدي بنطالًا أبيض اللون وبلوزة حمراء طويلة مطرزة بخيوط ذهبية رقيقة.
وبصوت هادئ ولطيف قالت السيدة العجوز: "اشكري أمك كثيرًا يا بنيتي."
عانقت الفتاة السيدة بحذر كما لو كانت مصنوعة من الخزف الفاخر وقالت: "إلى اللقاء سيدة ألبرتوتشي. وشكرًا على الشاي!"
لوحت كل منهما للأخرى، وكانت الفتاة قد علقت في هذه الأثناء قميصها على كتفها.
ظل هوڤر في مخبئه حتى رأى الفتاة تنعطف في نهاية الدرب متجهة إلى الشارع.
أحس هوڤر أن الحليب قد أصبح دافئًا، ولم يكن هذا مؤشرًا جيدًا.
يجب أن يعود إلى المنزل في أسرع وقت ممكن.
عاد هوڤر إلى المنزل، وما أن فتح الباب حتى أقبلت أمه عليه غاضبة وتساءلت عن سبب قضائه ساعتين في الخارج لشراء بضعة أغراض فحسب.
عجز هوڤر عن الاعتراف لأمه بحقيقة ما حدث، بأنه كان يتبع فتاة عبر منطقة السكك الحديدية؛ فهو لم يكن يريد أن يفضح أمرها بأي حال من الأحوال.
"لقد التقيت بصديقي ينس. لديه لوح تزحلق جديد وأراد أن يريني بعض الحيل." وصمت لوهلة ثم قال: "أسف بشأن الحليب!"
وجهت الأم نظرها بتركيزإلى طاولة مكتبها ولم تقل شيئًا.
ثم صاحت وراءه قائلة: "إذن، لن يكون هناك أرز بالحليب اليوم"، وكأنها تعاقبه. لا شك أن هوڤر كان يتطلع إلى تناول الأرز بالحليب والكرز. ولكنه فجأة فقد اهتمامه بالبودينج ورقائق البطاطس والطعام بشكل عام.
اختفى هوڤر في غرفته وأخذ يفكر في تلك الفتاة التي رآها في الآونة الأخيرة مرات عديدة في شارعه ومرات قليلة في المدرسة. كانت في الصف السابع، أي أكبر منه بعام واحد.
السرقة حرام، كانت هذه العبارة تسيطر على تفكيره، إنها الوصية السابعة:"لا تسرق!" إلا أن هوڤر لم يسرق أبدًا في حياته. ولكن، إلى أي مدى تُعد السرقة عملًا سيئًا إذا كان الشخص يُهدِي ما سرقه لشخص آخر، قد يكون بحاجة ماسة إليه؟

كانت جدته إللي الكاثوليكية قد فسَّرت له الوصايا العشر مرارًا وتكرارًا. واعتبرت هذا الأمر ضروريًا لأنها كانت كثيرًا ما تراه يفعل أشياء لا يرضى عنها الرب، على حد قولها. ألم يكن

يخفي أغراض أخويه حين يغضب منهما. ألم يكن يبحث في الإنترنت عن صور لنساء عاريات. (قطعًا لم تكن جدته تعلم بهذا الأمر). كما كان يلجأ إلى الكذب الأبيض إذا ما مر بتجربة محرجة. ناهيك عن نوبات الغضب التي كانت تنتابه على مائدة الطعام، فتلك لا يمكن حتى وصفها. أراد أن يسكب طعامه بنفسه كالكبار، ويرفض تناوله إذا ما وضعته له أمه على الطبق. ولكن ما من أحد كان يفهم شعوره.

"أكرم أباك وأمك!" كم من المرات لامته جدته وأنّبته.

نظر هوڤرإلى نهر الراين وخطر بباله أن الالتزام بالوصايا العشر أمرٌ ممكنٌ، إلا أن أباه كان يقول له دائمًا أن: "لكل قاعدة استثناء."

ولربما كان ما مر به اليوم واحدًا منها.

جدي

ظل هوڤر لبعض الوقت جالسًا على عتبة نافذة غرفته شاخصًا نحو الخارج. وماذا يمكنه أن يفعل غير ذلك؟ فأمه غاضبة منه، ومشغولة أيضًا؛ وأخواه يعيشان حياة أفضل كالعادة. إنه أمر قاس بما في الكفاية أن يكون لديه إخوة أكبر منه سنًا، ولكن أن يكون تيو وكاتا توأمين لا يفترقان أبدًا، فليس هناك أسوأ من ذلك! أما أبواه، فيعشق كل منهما الآخر، وهذا نادر الوجود هذه الأيام. إنهما يفعلان كل شيء معًا، فيجلس كل منهما بجوار الآخر على الأريكة ويشاهدان نفس البرامج في التلفزيون، ويحرِّمان الأمور نفسها..قائمة طويلة لا تنتهي.
أن يكون هوڤر هو الأصغر في إطار هذه الأسرة لا يمكن أن يتلخص في كارثة واحدة وحسب.
لقد صبر على هذه المأساة اثني عشر عامًا، لكنه كان يتشاجر مع أخويه تارة أو مع أبويه تارة أخرى، وفي أسوأ الأحوال مع الجميع في وقت واحد. كان يشعر حينها وكأنه العنصر الفائض في الأسرة، كما لو كان العجلة الخامسة في العربة. إنه مثلٌ سخيف، ولكنه حقيقي: يشعر حينها الشخص بأنه عبء على أسرته. كان هوڤر يشعر بنفسه كذلك، وأنه مصدر إزعاج أيضًا.
كلما انتاب هوڤر هذا الشعور، ذهب إلى جده. لطالما كان سندًا له، ينصت إليه ويواسيه، يحاول أن يفهمه، حتى قبل وفاة جدته إللي.
كان هوڤر يعتبر جده ملاذه ومنقذه، طوق نجاته وسط الأمواج، أما جدته بوصاياها العشر، فكانت الناطقة بلسان الرب.

سمع هوڤر صوت أمه في المساء وهي تعمل في المطبخ، وقد فاحت منه رائحة الأرز بالحليب.علت وجه هوڤر ابتسامة عريضة، فهو يعرف أن أمه ليست من الأمهات اللاتي يعاقبن. رن جرس الهاتف، وتسللت عبارات أمه المتقطعة إليه عبر الطُرقَة.
"مستشفى الجامعة؟...وأنت في طريقك إلى الحمام... أغمي عليك؟ والآن؟ نعم...
هل أنت بخير؟ - نعم، نعم، أراك غدًا! تصبح على خير يا أبي!"
وضعت السماعة جانبًا ونظرت إلى ابنها الذي كان شاحب الوجه مستندًا إلى إطار الباب.
تساءل هوڤر: "جدي في المستشفى؟". عصفت الأفكار في ذهنه سريعًا؛ جدي في أتم صحة وعافية.. جدي لا يمرض أبدًا.. مستحيل!
"لا تقلق، شعر على الأرجح ببعض الدوار فقط. خضع في المستشفى لكافة الفحوصات وسوف يبقونه تحت المراقبة.فلا يمكن أن يحدث له مكروه هناك."
همس هوڤر قائلًا: "ولكنه يكره المستشفيات!"
"لا تدخلوني المستشفى أبدًا!"، تلك كانت كلمات جده حين ماتت الجدة إللي. وفي تلك اللحظة أمسك هوڤر بقوة بيد جده المليئة بالتجاعيد والشعر الأشعث الأسود، وضغط على شفتيه وأومأ له برأسه وكأنه يأخذ عهدًا على نفسه. واعتبر ذلك وعدًا ضمنيًا منه. لم يكن بإمكان الجدة أن تعتني بجده، لأنها لم تعد على قيد الحياة. كان ينبغي عليه أن يتولَّى تلك المسئولية.
ماذا سيفعل الآن؟ لقد فات الأوان.
"جدك على ما يرام. على الرغم من أن صوته بدا متعبًا بعض الشيء، إلا أنه كان مبتهجًا. لا تبدو مهمومًا هكذا. يمكننا زيارته مساء غد، وقد يخرجونه من المستشفى."
"هل أخبركِ هو بذلك؟"

أومأت الأم برأسها ومسحت على رأس ابنها، ثم صاحت قائلة: "الأرز بالحليب!"
امتدت رائحة اللبن الشائط من المطبخ إلى الردهة. وترسَّبت على الموقد قشرة بيضاء بينما التصق الأرز الأسود الشائط بقاع الحلة.
وفي سريره لاحقًا أخذ هوڤر يفكر في جده،الذي كان يرقد بلا شك في غرفة صغيرة بجدران بيضاء. وما لبث أن شعر برائحة المستشفيات المقززة تتسلل إلى أنفه. أم أنها رائحة اللبن الشائط ؟ أيًا كان، ففي جميع الأحوال عجز هوڤر عن النوم حتى وقت متأخر.